محاولات روسيا الامتداد الى مناطق الخليج والجزيرة العربية والموقف البريطاني منها

1850-1800

ازداد اهتمام روسيا بالعالم العربي ولا سيما منطقة الخليج والجزيرة العربية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر لعدة اسباب . منها سعي الامبراطورية الروسية لتنويع الأسواق العالمية الملائمة لتصدير وبيع بضائعها، وكذلك حب الروس التقليدي للاطلاع على مناطق جديده في العالم وحياة الشعوب القاطنة فيها وعاداتها وتقاليدها ، وأخيراً ، وهو الاهم القوة المتزايد للدولة الروسية القوية أصلا ، في مواجهة قوة فارس والدولة العثمانية اللتين كانت سياستهما تشكل خطر مستمراً على الوضع الامني في منطقة حدود روسيا الجنوبية، لاسيما التنمية الاقتصادية التي شهدتها روسيا في القرن التاسع عشر ، انعكاساً ملحوظاً في سياستها على الصعيد الخارجي ، اذ اصبح الرأسماليون الروس في أمس الحاجه الى البحث عن مزيد من الاسواق التجارية العالمية ، لذا فأن الحكومة الروسية أولت انطلاقاً من حاجاتها الاقتصادية والسياسية وتطلعاتها العالية اهتماما بالغا في بداية القرن التاسع عشر الى المناطق التي ظلت مدة طويلة خارج مدار مصالح روسيا ، بدا في منطقة الخليج والجزيرة العربية ، واطلق على هذا النهج اسم السياسة الروسية الجديدة ومما سهل عليها ، الى حد ما ، مهمتها الخاصة بالاطلاع على منطقه الخليج والجزيرة العربية ، هو ما توافر لديها من خبرة في اقامة الاتصالات مع العالم العربي، وبالدرجة الاولى مع سوريا ومصر وفلسطين

ومع بداية القرن التاسع عشر حاولت روسيا عام 1801 تحقيق موطأ قدم لها في الهند في ضوء التحالف الذي تم بينها وبين فرنسا ، من اجل الوصول الى المراكز الرئيسية في الخليج والجزيرة العربية ، والذي تضمن احتلال الجيوش الروسية لفارس وأفغانستان ، ومن ثم الدخول الى الهند ، وفي الوقت نفسه يقوم الاسطول الفرنسي بأحتلال الموانئ الهندية ، بعد ان يسيطر على منطقة الخليج والجزيرة العربية ، الا ان وفاة القيصر الروسي (بول الاول- .Paul I) في الثالث والعشرين من اذار عام 1801 ، حال دون تنفيذ الاتفاق

كانت سياسة روسيا تهدف بالتخلي عن فكرة مناهضة للدولة العثمانية والقضاء عليها وجعل " كمال حصانتها الشعار الرسمي للدبلوماسية الروسية تقريبا "، على حد تعبير المؤرخ السوفيتي (دوستيان- Dostian) واستمرت السياسة الروسية اتجاه الدولة العثمانية بالسير بالخط نفسه في السنوات الاولى من حكم (الاسكندر الاول- Alexande. 1) (1801 - 1825)، فقد نصح (ادم تشارتوريسكي- Adam Charitireskt) نائب وزير الخارجية الروسي في مذكرته الى القيصر الروسي في التاسع والعشرين من شباط عام 1804 ، بضرورة بقاء الدولة العثمانية ضعيفة وسليمة ، لأن ذلك

اقرب الى مخططات روسيا ومصالحها الحيوية، وتأكيداً لهذا النهج السياسي عقدت معاهدة التحالف بين روسيا والدولة العثمانية في الثالث والعشرين من ايلول عام 1805، وجاءت هذه المعاهدة رداً على معاهدة التحالف المعقودة عام 1801 ، بين بريطانيا والدولة العثمانية.

ومن جانب آخر سعت روسيا جاهدة بأن يكون لها منفذ على الخليج والجزيرة العربية من أجل تحقيق اهدافها الاقتصادية وايقاف التوغل البريطاني في المنطقة اذ خطت اولى خطواتها في هذا السبيل بأن ركزت على ميناء باطوم، الواقع في الجنوب الشرقي من البحر الاسود ، ليكون المرحلة استهلالية لمد نفوذها لبغداد ، ومن ثم التسلل الى شواطئ الخليج والجزيرة العربية

زادت مخاوف بريطانيا من طموحات روسيا القيصرية نحو الخليج والجزيرة العربية ، وهذا ما نلاحظه في المذكرات والتقارير الوارد ذكرها ، ففي الثالث والعشرين من حزيران عام 1806 ، بعث (ستوارت – Stuart) الوزير المفوض البريطاني في بطرسبورغ مذكرة الى لندن، اشار فيها، الى ان الاندفاع الروسي في القوقاز من شأنه أثارة اهتمام بريطانيا في الشرق مستقبلاً ، فالمقاطعتين الفارسيتين جيلان ومازندان تحاددان النهاية الجنوبية لقزوين ، الامر الذي سيجعل الحرير الفارسي بيد روسيا ، ويجعلها في الوقت نفسه تسيطر على بداية الطريق التجاري مع البصرة في مدخل ، الخليج والجزيرة العربية كما ان الاندفاع الروسي نحو سواحل قزوين الغربية وباكو ، سيمنح روسيا السيطرة على طرق التجارة المهمة ويشكل منافسه قويه لبريطانيا في المنطقة

ومن الجدير بالذكر ان (بارلو – Barlow) حاكم الهند بالنيابة , قد تلقى تقارير عن النشاط الروسي في الخليج والجزيرة العربية مؤكداً تلك التقارير مبالغ فيها كثيرا ، وقد انحى بارلو بلائمة في المبالغات التي تضمنتها التقارير ، الى مرسليها وهما (هارفرد جونز – Harvard. Jones) المقيم البريطاني في بغداد ، و (صامويل مانستي– sumel manesty) الممثل البريطاني في البصرة

وفي غضون ذلك فان جونز الذي عاد الى بريطانيا في نهاية عام 1806 ، قدم مذكرة في السابع من كانون الثاني من العام التالي الى وزارة الخارجية البريطانية ، أوضح فيها انه يجب على الحكومة البريطانية ارسال مبعوث الى البلاط الفارسي بسرعة ، على ان يسافر اولا الى بطر سبورغ ، بهدف اقناع قيصر روسيا بحل خلافاته مع فارس والمسالة الجورجية ، لتتفرغ روسيا لمواجهة الخطر الاكبر الذي يمثله القيصر (نابليون بونابرت Nabelon Ponaber) من جهة ، ولابعاد فارس عن الارتماء في احضان فرنسا من جهة اخرى ، كان يتعين على المبعوث ان يتكلم باسم الملك البريطاني لا باسم شركة الهند الشرقية ليضيف الى مهمته ثقلا

وفي هذه الاثناء وصل في كانون الثاني 1807 ، (محمد نبي خان) مبعوثا من قبل الشاه (فتح علي 1797 – 1834) الى حكومة الهند يطلب منها ان تؤيده في حربها ضد روسيا و ان تمده

بالسلاح و العتاد ، ولكن بارلو حاكم الهند بالنيابة لم يستطع ان يؤيد فارس في حربها ضد روسيا ، مالم يتلقَ تعليمات واضحة من حكومة لندن التي كانت مهتمة في كسب روسيا حليفا لها لمواجهة خطر الامبراطور نابليون بونابرت ، وقد ابلغ مضمون هذه الفكرة بارلو الى مبعوث الشاه و ذكر له ان معاهدة عام 1801 ، المعقودة بين بريطانيا و فارس ، كانت لمواجهة فرنسا وليست ضد روسيا ، وان البنود التي وردت في المعاهدة فيما يتعلق بتقديم المساعدات في حالة نشوب الحرب ، كانت تنطبق على افغانستان فقط ، ولا تنطبق على روسيا كما اوضح بارلو لمبعوث الشاه ان فارس لا تزال ملتزمة بتلك المعاهدة و الوقوف مع بريطانيا ضد فرنسا بيدي (لورد مينتو – Lord Minto) الحاكم العام للهند (1807 – 1813) رأى أنه من الأصوب ان يبعث الجنرال (مالكولم – Captian Jhon Malcolm) الى فارس ومنطقة الخليج والجزيرة العربية ليكتب تقريراً عن الحالة هناك

ويمكن الاشارة الى ان تأثير السفير البريطاني جونز على فتح علي شاه ، بلغ الى حد إصدار الشاه ، فرمانا في السادس عشر من آذار من عام 1809 نفسه موجهاً الى عباس ميرزا ولي العهد الفارسي، اشار فيه الى ضرورة أشتراك جونز معه اثناء مفاوضاته التي ستجري مع الجنرال (تورماسوف– G. Tormasoff) القائد الروسي العام في القوقاز وجورجيا ، في قلعة عسكران في تبريز من أجل التواصل الى عقد صلح بين روسيا وفارس. الامر الذي دفع جونز الى استغلال ذلك بما يضمن مصالح بلاده في فارس والخليج والجزيرة العربية والعمل في الوقت نفسه، على إطالة أمد الحرب بين روسيا وفارس ، لذا قدم لعباس ميرزا ولي العهد الفارسي ، مشروعا للصلح مع روسيا يتضمن ستة بنود صاغها بشكل يضمن المصالح البريطانية في فارس والمنطقة ويجعل منها في الوقت نفسه مقترحات مرفوضة مع الروس، وإثر ذلك انقطعت المفاوضات بين روسيا وفارس لانهاء الحرب بينهما ، وسرعان ما أبرق جونز السفير البريطاني في طهران ، الى نظيره في اسطنبول (ستراتفورد كاننك Cannck Stratford) يخبره بذلك الانجاز ، الذي حققه في المذكرة المؤرخة في الرابع والعشرين من ايار عام 1810 ، ومن جانبه أرسل كاننك ، برقية يهنئه فيها على نجاحه في عرقلة العلاقات الروسية الفارسية قائلاً: " قدمت اكبر خدمة ، حينما تمكنت من ان تجعل من الحرب بين روسيا وايران مستمرة بشكل أشد ، لدرجة جعلت السكندر يائساً من عقد الصلح بين روسيا وفارس

كان أشد مايقلق الحكومة البريطانية هو ان تتمكن روسيا من انهاء مشكلاتها مع فارس ، فتشكل مصدر خطر على نفوذها في الخليج والجزيرة العربية ، فأصبح العمل الاساسي للممثل البريطاني في طهران ، هو الحد قدر الامكان من نشاط روسيا ونفوذها المتزايد في فارس والمنطقة ، اذ كتب جونز السفير البريطاني في طهران في ايلول عام 1809 ، الى نظيره (روبرت أدر– Robert Ader) في اسطنبول

الذي مارس بدوره نشاطا واسعا ، لمنع حصول اي تقارب روسي – فارسي ، مانصه : ((اذا تمكنت روسيا من عقد صلح مع فارس ، فان ذلك سيتحول الى ضربة توجه الى نفوذ بريطانيا في كل من طهران وأسطنبول)) ، وبهذا الاتجاه بذل جون ومساعدوه نشاطا موسعاً على اكثر من صعيد ، وفي اكثر من مناسبة ، جهودا كبيرة من اجل عدم حصول روسيا على مكاسب أقليمية في شمال فارس ، قد يسهل لها الوصول الى منطقة الخليج والجزيرة العربية ، الامر الذي عدته بريطانيا خطرا يهدد مصالحها التجارية في تلك المنطقة

انتهت الحرب بقبول فارس الشروط المذلة لمعاهدة (كلستان– Guiistan) ، في الثاني عشر من تشرين الاول عام1813 ، وقد وقعها عن الجانب الروسي الجنرال (دي ريتشيف – Genral De rtisheff) القائد العام للجيش الروسي في جورجيا ، فيما وقعها عن الجانب الفارسي (فيرز ابو الحسن) السياسي المعروف بموالاته للبريطانيين ومن جانب آخر تم التوقيع على معاهدة جديدة بين بريطانيا وفارس ، في الخامس والعشرين من تشرين الثاني عام 1814 ، التي سميت بمعاهدة طهران وقد تألفت المعاهدة من احدى عشرة مادة ، وفيما يخص موضوع البحث فقد خلت هذه المعاهدة من الوضوح التي طلبها الفرس ، وظهور خطر الوهابيين على اطماع فارس في البحرين او ربما بفعل بعض المشكلات التي تحدث من حين لآخر ، بين حكومة شيراز وزعماء المشيخات العربية المستقلين ، على الساحل الشرقي من الخليج والجزيرة العربية ، كانت تلك المعاهدة مفاجأة غير سارة للحكومة الروسية

وبحسب المؤرخ (د. س. بولفرD.C.polfer) بأنه لم تكن ثمة منافسه بين بريطانيا وروسيا قبل التوقيع على معاهدة كلستان تلك المعاهدة التي كانت دليل على ولادة التنافس بين الدولتين.وحقيقة الامر ان الانتصارات التي احرزها القيصر الروسي الأسكندر الأول حتى عام 1814 ، على فارس والدولة العثمانية ، لم تثر أي استياء بريطاني لأن بريطانيا كانت مشغولة بمحاربة نابليون وراغبة في استمالة روسيا الى جانبها ، كما انها لم ترَ خطراً من الانتصارات الروسية ، الا ان هذا التعاون بين الدولتين قد انتهى بعد سقوط نابليون وزيادة المصالح الروسية في منطقة الخليج والجزيرة العربية

لقد كانت سياسة روسيا في منطقة الخليج والجزيرة العربية تقوم بالاساس على سياسة التوسع الاقليمي ، في محاولة منها الحصول على أكبر قدر من التنازلات الإقليمية ،من أجل تغلغل سياسي واقتصادي واسع في المنطقة، وفي غضون ذلك عندما نشبت الحرب من جديد بين روسيا وفارس في المدة 1828 ، بعد أقل من عام من حكم (نيقولا الاول– Nicolas 1) وقد حقق القيصر انتصارات كبيرة على فارس ، وبدا انسحاب القوات الفارسية امام قوات الجنرال الروسي (باسكوفيتش– G. Paskevitch) ، الذي

عبر نهر راس ، مهدداً في الوقت نفسه طهران ، على الرغم من مشاركة ضباط بريطانيين في تلك الحرب .

وفي المقابل وصل في هذه اللحظة الحرجة من الحرب الروسية –الفارسية ، (جون مكدونالد كينز– Johne Macdonal Kinner) ، السفير البريطاني (1824–1830) في طهران الى جبهة الحرب ، فأضطر الجنرال باسكوفيتش اذا لم تسحب روسيا قواتها من إذربيجان ، فأن بريطانيا ستشترك مع القوى الاخرى وستدمر الإمبراطورية الروسية مثلما دمرت ، نابليون بونابرت سابقا ، وبهذا التهديد تمكن السفير البريطاني من زعزعة موقف باسكوفيتش ، مقترحاً في الوقت نفسه التوسط بين الجانبين وانهاء الحرب ، بالشكل الذي لم تعترض عليه بطرسبورغ واخيراً وقعت في الثاني والعشرين من شباط عام 1828 ، معاهدة الصلح (تركمانجاي – Turkumanchai) ، بين الجنرال الروسي باسكوفيتش وعباس ميرزا ولي العهد الفارسي ، اللذين كان لهما تفويض مطلق من حكومتيهما ، وتألفت المعاهدة من معاهدتين احداهما سياسيه والاخرى تجارية، والمهم فيهما هي السياسية ، فبموجب المعاهدة الجديدة منحت روسيا حق الملاحة في بحر قزوين، فضلاً عن حق إقامة القنصليات وممارسة التجارة مع موانئ الخليج والجزيرة العربية ، على ان تحتفظ روسيا في سفن حربية في بحر قزوين كما جاء في معاهدة كلستان ، والأمر الذي جعل بحر قزوين بحيرة روسية

وأن أكثر ما تخشى بريطانيا هو احتمال اجتياح روسي للخليج والجزيرة العربية ، وصولآ للهند ولعل رأي الكولونيل (دي لاسي ايفانز C. de Lacy Evans–) الذي ورد في ، ((اجتماع الروس)) الذي طبع في لندن عام 1828 والصادر في العام التالي ((واحتمالات غزو الهند البريطانية)) لقد وجدت آراء إيفانز صدى لدى (لورد النيبورو– Lord Ellenborongh) الذي تولى رئاسة مجلس الهند في ايلول عام 1828 ، خلال وزارة (ولنكتون– Willington) (1827 – 1830) ، إذ أشار أن الروس في تقدمهم الى نقطة لا تبعد اكثر من ثلاثمائة ميل من الموصل اذا يمتد نهر دجلة الى الخليج والجزيرة العربية ، اثار ذلك مخاوف ولنكتون من الا يتوقف الزحف الروسي عند ذلك الحد ، وازاء ذلك بعث النيبور تعليمات الى الحاكم العام للهند في اب عام 1829 ، بأن يقوم بتزويد شاه فارس باثني عشر الف بندقية ، وايفاد ضباط من الجيش البريطاني على نفقة الحكومة البريطانية ، إذا أقتضى الامر لتدريب الجيش الفارسي ، واعلن في الشهر التالي ((انه لو حاول الروس الزحف نحو الخليج والجزيرة العربية عن طريق ولاية بغداد ، فسوف يحتل جزيرة خرج واغلاق حوض الرافدين في وجوههم))

شهدت العلاقات الروسية –الفارسية أزمة خطيرة عام 1829، بسبب مقتل (الأكسندر سيرغيفتش غريبويدوف – A. S. Griboyedov) المفوض الروسي في طهران هو واعضاء سفارته ،

باستثناء واحد منهم ، الذي كان خارج بناية السفارة وقت الحادث ، على ايدي جمهور ساخط لاعتقاده أن الوزير الروسي أوجد مطالب قاسية في معاهدة تركمان جاي ضد فارس ، فضلا عن محاولة الوزير الروسي ترسيخ المشاعر الفارسية المعادية للبريطانيين ، ولم يكن دور الاخرين في تحريض الفرس ضده قليلا ، فقد كان يهم بريطانيا فتح جبهة جديدة ضد روسيا ، بهدف تخفيف ضغطها عل الدولة العثمانية ، التي كانت مشتبكة بحرب مع روسيا حينذاك .

وعلى وفق لما اشار اليه الدكتور زكي صالح بأن معاهدة تركمان جاي ، تمثل بداية المنافسة البريطانية الروسية في الشرق الاوسط ، لاسيما في منطقة الخليج والجزيرة العربية ، واذا ما أضيفت اليها معاهدة (أدرنة– Adrinan) التي عقدت بين بطرسبورغ والباب العالي في 1829، حصل لدينا ما يحدد منشأ المنافسة البريطانية – الروسية ، في الشرق الاوسط بصورة عامة وفي منطقة الخليج والجزيرة العربية بشكل خاصاَ ، وهذا أقلق بريطانيا وأثار حفيضتها

ومن اجل تعزيز موقف بريطانيا في مواجهة التوسع الروسي في منطقة الخليج والجزيرة العربية، أقدمت لندن في اواخر العقد الثالث من القرن التاسع عشر، على القيام بمشاريع خطيرة تضمن لها أرجحية المصالح في المنطقة ، وهي جمع معلومات تفصيلية عن مجاري دجلة والفرات، من أجل إيجاد طريق مختصر للمواصلات بين البحر المتوسط والخليج والجزيرة العربية، وهذا الادراك لأهمية المشروع يعود في المقام الاول، الى جهود (توماس لوف بيكوك – T. L. Peacock) المكلف بفحص بريد شركة الهند الشرقية ، حينما سلم في أواخر عام 1829 الى النيبورو رئيس مجلس الهند مذكرة مطولة تناول فيها موضوع الملاحة البخارية في نهر الفرات ، وحينما ظهرت بعض الأعتراضات على قيام السلطات البريطانية بعمليات مسح للطريق المباشر، كي لا يؤدي ذلك الى استفزاز الروس، ودفعهم الى الأهتمام بالعراق على حساب الوجود البريطاني في الهند ، أجاب بيكوك " أن الروس يعرفون المزايا النسبية للطرق الى الهند معرفة تامه ، حتى انهم لا يحتاجون لمن يعلمهم ذلك "، فما الذي يجعلهم يتآمرون بالزحف في الخليج والجزيرة العربية ومواجهة التفوق البريطاني هناك ومع ذلك لايمكن تجاهل ذلك الاحتمال ، وما القصد منه إذ يمكن تجاهل التسهيلات المتاحة للري في العراق ، فالمعدات العسكرية والبحرية لا يمكن نقلها بسهولة من الموانئ الجنوبية الشرقية للبحر الاسود ، الى تلك المنطقة التي يلتقي فيها نهرا دجلة والفرات ، واذا نجح الروس في الاستيلاء عليها ، فأن كل المنطقة الممتدة من البحر الاسود الى الخليج والجزيرة العربية ستكون تحت سيطرتهم ، واذا نشبت حرب بين بريطانيا وروسيا ، ربما يكون احتلال الروس لبغداد والبصرة ، هو الخطوة التمهيدية للهجوم على الخليج والجزيرة العربية ، وعلى اساس هذا الافتراض كان رأي بيكوك ، أنه يتعين على بريطانيا ، ان تحتل العراق ، كذلك فأن

اهتمام بريطانيا بالملاحة في نهر الفرات سيكون ذريعة لمقاومة أي تيارات قادمة . وتأييداً لهذا الرأي ، أشار بيكوك في رسالة الى الكولونيل جون مكدونالد كينز السفير البريطاني في طهران ، الذي سبق له ان قطع نهر دجلة من الموصل الى بغداد على احد الصنادل، وقد أبدى كينز في تلك الرسالة مخاوفه من ان يفطن الروس ألى اهمية دجله لنقل المؤن والجنود ، لاسيما وأن نهر دجلة يصلح لسير القوارب الكبيرة ، من منطقة ديار بكر التي توجد فيها قلعة بنيت من الاحجار البركانية وتصلح قاعدة عسكري.

وفي هذه الأثناء كانت السياسة الروسية خلال تلك الحقبة تناصب العداء لبريطانيا في المنطقة ، فقد نشرت صحيفة (موسكو– Moscow) الواسعة الانتشار في روسيا مطلع عام 1832 ، مقالاً في افتتاحيتها جاء فيه ((لن نكون بحاجه الى اي تحالف مع أولئك الناس ألفظين في كلكتا))

ولدرء التطلع الروسي نحو بغداد ومنطقة الخليج والجزيرة العربية ، حاولت بريطانيا الإفادة من نهر الفرات للملاحة من سوريا الى الخليج والجزيرة العربية ، فقد ظل (ر. تايلر– R. Taylar) المقيم البريطاني في بغداد (1822 – 1843) ، يوجه تحذيراته منذ اندلاع الحرب الروسية العثمانية (1828) الى حكومة الهند ، عن هجوم محتمل للقوات الروسية على العراق ، يعقبه زحف روسي الى الهند عن طريق البصرة وبوشهر ، كما ظل (جسني– Chesney) منذ عودته من منطقة الخليج والجزيرة العربية الى لندن في ايلول عام 1832 ، يلح على هذا الموضوع .اذ اعتقد جسني أنّ طريق الفرات هو الطريق الاسهل والمحتمل ، الذي ستسلكه القوات الروسية اذا ما فكرت في غزو الخليج والجزيرة العربية فهناك غابات ارمينيا وفارس التي يمكن للروس ان يصنعوا من اخشابها الصنادل اللازمة لنقل الجنود والمعدات العسكرية ، وان اربعة الى خمسة اسابيع تكفي لنقل جيش بكامله الى شط العرب ، وهي منطقه تصلح لأقامة قاعدة بحرية ، وان اي جيش يملك قاعدة في شط العرب ، يمكنه ان يزحف عبر ساحل الخليج والجزيرة العربية حتى رأس جاسك الواقعة على بعد 265 ميلاً عن حدود الهند وعلى هذا الاساس يمكن لأي قوة عسكرية روسية ، ان تصل الى حدود الهند في ظرف ثمانية أو عشرة أسابيع من خروجها من العراق ، وقد ايد جسني ، في هذا الرأي عدد من اعضاء اللجنة التي شكلت في عام 1834 ، في البرلمان البريطاني ، والمختصة في الموضوع ، ومن بين هؤلاء بيكوك (المختص بفحص بريد شركة الهند الشرقية) الذي لم يختلف رأيه هذه المرة عن رأيه السابق على الرغم من انه اصبح مقتنعا بان غزو الهند عن طريق الخليج والجزيرة العربية ، لم يكن اقل احتمالاً من غزوها عن طريق بحر قزوين ، وبسؤله عما اذا كان يعتقد بان هناك احتمالاً لهجوم الروس على الهند من بحر قزوين عبر نهر الاكس اكثر منه عن طريق الفرات والخليج والجزيرة العربية ، ومقابل التفوق البحري البريطاني فأجاب: " التفوق في البحر ليس طلسما ، فلابد من الاحتفاظ برقابة مستمرة على المنطقة ،

وتوفير وحدات كافية من القوات للرقابة ، كما ذكر انه لايجهل الخطر المحتمل من نهر الاكس ، غير ان هناك خطراً محتملاً لهجوم من العراق ، ولو اتمكن لقمت بإيقاف الخطرين معآ " ، ثم دعا بيكوك الى البت بسرعة في مشروع طريق الفرات قبل ان تقوم روسيا بدعم نفوذها هناك ، وهو الحلم الذي كان يداعبها منذ زمن بعيد ، واختتم بيكوك شهادته بأنه أكد على الاهمية البالغة لطريق الفرات لبريطانيا إذ قال : " ان جميع مصالحنا السياسية في هذه البلاد تتطلب ان تبقى بعيدة عن منطقة البحر الاحمر اذ لامصلحة لنا هناك في ابعاد اي دولة عن طريق البحر الاحمر" اما المعارضون لأنشاء طريق الفرات ، والذين أدلو بشادتهم أمام اللجنه منهم هارفرد جونز المقيم الاسبق في بغداد والوزير المفوض الاسبق في فارس ، فقد استخف بفكرة احتمال قيام الروس بغزو الهند عن طريق الخليج والجزيرة العربية ، وقال للجنة ((انني على استعداد لأن اقدم لهم البصرة ، ولكن بأي طريق سيصلون الى الهند ، وكيف يدخلون الخليج والجزيرة العربية إذا لم يكونوا يتمتعون بتفوق في القوة البحرية على الاسطول البريطاني واذا كان لروسيا اسطول اقوى من الاسطول البريطاني في منطقة الرجاء الصالح ، فما الذي يضطرها الى دخول الهند عن طريق الفرات))، اصدرت اللجنة في الرابع عشر من تموز عام 1834 ، توصياتها ، بأيفاد بعثه لإختيار صلاحية نهر الفرات للملاحة البخارية ، وتخصيص اعتماد مبلغ عشرين الف جنيه استرليني لتغطية مصاريفها ، وأضافت اليه شركة الهند الشرقيه مبلغ خمسة الاف جنيه أخرى ، وصدر مرسوم ملكي في الثامن والعشرين من تشرين الثاني في العام نفسه ، بتعيين جسني لتنظيم البعثة وقيادتها وتوجيهها ، وبعد شهر حصلت بريطانيا في التاسع والعشرين من كانون الاول من العام نفسه ، على فرمان من الباب العالي يسمح لها بإستخدام سفينتين في نهر الفرات لأهداف تجارية ، وكان (الكونت ميديم – Count Medem) الوزير الروسي في اسطنبول ، إذ بذل جهوداً مستميتةٍ ، ليحول بين الحكومة العثمانية وذلك الفرمان

وحينما سافر (جون ماكنيل – John Menill) ، طبيب السفارة البريطانية في طهران عام 1834 الى بريطانيا ، بدأ هناك حملة صحفية كبيرة ، عن خطط التوسع الروسي في اسيا ، اثارت اهتماما واسعا ، وقد عاونه في هذه الحملة رحالة بريطانيون هما(آركوهارت– Urquhart) (وبيلي فريز–B. Fraser) وكان الاخير قد نشر بحثا بعنوان (تقدم روسيا في الشرق) أشار فيه ، ان من مصلحة السياسة البريطانية المحافظة باي ثمن على استقلال فارس وتكامل حدودها، وكان السبب الجوهري الذي طرح قضية روسيا على مستوى الرأي العام البريطاني ، بعد ان كان وجودها مستترا ، تولى (محمد شاه 1934 – 1848) عرش فارس إن سلوكه يوحي بتبعيته للسياسة الروسية ، حتى انه لم يعد يستمع الا لمشورة (الكونت سيمونج – Count Simonich) الوزير المفوض الروسي في طهران

وعندما وقع الاحتلال البريطاني لجزيرة خرج وميناء بوشهر الواقعين في الخليج والجزيرة العربية في السادس والعشرين من حزيران عام 1838، احدث ارتباكاً للروس ، ففي الاول من تشرين الثاني عام 1838 ، قام (الكونت بوزودي بورجا– Count Pozzode Borgo) السفير الروسي في لندن ، بتسليم مذكره من (الكونت نسلرود– Count Nesselrode) وزير الخارجية الروسي (1816 – 1838) الى (اللورد بالمرستون– Palmerston Lord) وزير الخارجية البريطاني ، يحتج فيها بشده على احتلال البريطانيين لجزيرة خرج ، ويقول نسلرود في مذكرته انه يتكلم باسم الشاه ويقدم الاحتجاج بالنيابة عنه ، وان وجود القوات البريطانية في الجزيرة انتهاك صريح لسيادة فارس، وقد ذكر بالمرستون (اللورد لهوبهاوس– Lord Hobhouse) رئيس مجلس الهند ، ان الروس تنتابهم الحساسية تجاه جزيرة خرج ، فقد ركز السفير الروسي تركيزاً شديداً على هذا الموضوع ، وقد قال بورجا، انكم سوف تنسحبون منها، ولكن يمكنكم العودة اليها متى شئتم ، والذي استنتجه بالمرستون من هذا القول هو انه بمجرد انسحاب البريطانيين من هذا الجزيرة ، فأن الروس سوف يقنعون الشاه بوجوب تحصينها ليتعذر على البريطانيين الاستيلاء عليها مرة اخرى ،من جانب اخر حصل بالمرستون على وعد من نسلرود باستدعاء سيمرنج سفير بلاده في طهران ، ليثبت ان الحكومة الروسية لم يكن لديها اية مخططات للاعتداء على امن وسلامة الممتلكات البريطانية في منطقة الخليج والجزيرة العربية وفي الموضوع نفسه ارسل الشاه في ربيع عام 1839 ، (حسين خان) المبعوث الفارسي الى الحكومة البريطانية ، وزوده بمذكرة بشكاوى الشاه ضد ماكنيل الوزير المفوض البريطاني الجديد في طهران يطلب منها سحب ماكنيل، وقدمت صورة من المذكرة الى بطرسبورغ وإستنبول وباريس شدد فيها ، انه لم يكن في نيته ابدا أن يسهل للخطط الروسية في منطقة الخليج والجزيرة العربية وأختتمت المذكرة بتهديد غامض " انه اذا أنكرت بريطانيا تحقيق العدالة للشاه ، فأنه سيبحث عن ملجأ في ظلال جبل كبير " ، وقد أصبح معنى هذا التهديد واضحا فيما بعد ، عندما وجه الشاه نداءً لروسيا للحماية والمساعدة يبد ان بالمرستون رفض التهديد ، وحينما قابل حسين خان في التاسع عشر من حزيران عام 1839 ، طلب بالمرستون منه النظر الى خارطة كبيرة معلقة على الحائط ، وأشار إليها هنا الهند وهذه روسيا وافغانستان وهنا فارس وخاطبه ان توطيد العلاقات بين الحكومة البريطانية و الفارسية تبنى على ان لا تكون روسيا قريبة من الخليج والجزيرة العربية